القدس في رحلة القاضي أبي بكر بن العربي الأندلسي
دراســة حضاريــة

د. محمــد علي دبـــــور (*)

مقدمـــــة

يرتبط مفهوم الرحلة في الأصل اللغوي العربي، بركوب الإبل أو الجياد ونحوهما، وترويضها حتى تصير "راحلة"، وقد نقل ابن منظور عن أبي زيد قوله: "أرحل الرجل البعير(...) إذا أخذ بعيرًا صعبًا، فجعله راحلة"(١)، ثم يضيف ابن منظور: "الراحلة من الإبل البعير القوي على الأسفار والأحمال، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله.."(٢)، ونستنتج من هذا القول أن تحقيق متعة الاكتشاف من ناحية، والرغبة في مكابدة الشدائد والتغلب عليها من ناحية أخرى، هما من الأضداد التي ينشدها الإنسان في الرحلة، ويختم ابن منظور هذا العرض اللغوي بقوله: "وقال بعضهم: الرحلة الارتحال، والرُحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده"(٣).

وتختلف الرحلات باختلاف الأغراض البشرية التي تستدعي القيام بها، غير أن هناك أغراضًا أخرى استدعت كتابتها بعد ذلك، فالرحالون لم يهتموا برحلاتهم إلا في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، واستمر التأليف فيها إلى أن أصبحت فنًا أدبيًا مميزًا، حدده الباحثون حديثًا، وصنفوه ضمن أنماط السرد الذي يتخذ الرحلة موضوعًا له، لكن فريقًا آخر من الباحثين يرون أن لهذا الفن قيمتين: **الأولى علمية، والأخرى أدبية**؛ فهو يتناول الكثير من نواحي الحياة الواقعية: "إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير"(٤).

(*) مدرس بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

(١) ابن منظور: لسان العرب- دار صادر- بيروت، ١٩٥٥ م، مادة: "رحل".

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب- دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط ٢ مزيدة ومنقحة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ص ٦.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا يعني أن أي رحلة، كي تعد فنًّا، لا بد أن تحمل في الوقت نفسه هاتين القيمتين، أعني: العلمية والأدبية، لكن نسبة إحداهما إلى الأخرى متفاوتة في الرحلات العربية على الأقل، فبعض الرحلات يغلب عليه الجانب العلمي، الجغرافي والتاريخي، وبعضها الآخر يغلب عليه الجانب الذاتي أو الأدبي الوجداني.

وقد بيّن ابن خلدون أهمية الرحلة العلمية في قوله: «إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علمًا وتعليمًا وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»(٥).

فقد كانت الرحلة سجلاً يكشف عن المنابع الثقافية التي ارتوى منها العالم، والأصول التي اعتمد عليها، والتي كانت - دون شك - مرجعًا له فيما ألف من كتب(٦)، كما عُدَّت الرحلة جانبًا مهمًّا في تقدم الأدب الجغرافي الإسلامي، ومصدرًا موثوقًا به إلى حدٍّ كبير؛ إذ كان الرحالة - في الغالب - دقيق الملاحظة، حاضر البديهة حتى أصبحت كتب بعضهم من معالم الأدب العالمي(٧).

وقد كان اهتمام الرحالين بتدوين رحلاتهم كبيرًا جدًّا، ويضيق بنا المقام هنا لتعداد كل المؤلفين في الرحلة، من جغرافيين ومؤرخين وأدباء، وغيرهم من المتخصصين، ولكن نخص بالذكر أشهرهم : اليعقوبي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤ م)، مؤلف كتاب: "البلدان"(٨)، وأحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، صاحب كتاب: "فتوح البلدان"، والمقدسي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) مؤلف "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"(٩). كما تواصل تأليف الرحلات ذات الطابع الجغرافي والتاريخي، وعظم على

---

(٥) ابن خلدون: المقدمة- تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي- مكتبة الأسرة- القاهرة، ٢٠٠٦ م، ٢/ ٥٣٩-٥٤٠.
وراجع: حسين محمد فهيم: أدب الرحلات- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ١٩٨٩ م، ص ٨٠.

(٦) د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون- دار البيان العربي- جدة، د. ت، ص ٣٢٢.

(٧) د. حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون في الأندلس- نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- مدريد- ط ٢، ١٩٨٦ م، ص ٩.

(٨) انظر: زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى-دار الرائد العربي- بيروت، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ص ٣٥-٣٦. د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٧١-٧٨.

(٩) انظر: د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٢٩-١٣٥. زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٤٢-٤٣.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يد عدد من الشخصيات ذات الصيت الذائع أمثال : أبي عُبيد البكري (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) صاحب كتاب:"المسالك والممالك" أو "المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"(١٠)، وابن جبير الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، صاحب كتاب: "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفـار"(١١)، وابن بطوطة المغربي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) صاحب كتاب: "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"(١٢)، والقاسم بن يوسف التجيبي (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م) صاحب كتاب: "مستفاد الرحلة والاغتراب"(١٣)، وعبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) صاحب كتاب: "التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا"(١٤).

وقد ألف الرحالون المغاربة والأندلسيون المذكورون رحلاتهم؛ في الفترة ما بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين/ العاشر والخامس عشر الميلاديين. وبعد هذه الفترة شهدت الرحلات المغربية والأندلسية بعض التراجع في التأليف؛ لاشتداد وطأة الحروب بين المسلمين والأعداء الأوروبيين كالإسبانيين والبرتغاليين، ولكن الرحلات ما لبثت أن عادت إلى نشاطها ورواجها المعهود في القرن الحادي عشر وما بعده، والمؤسف أن الكثير منها تعرض للضياع، بسبب الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي شهدها الغرب الإسلامي.

وكان المشرق لا يزال محط أنظار المغاربة والأندلسيين، ويسترعي اهتمامهم؛ لما تضمّه بيئته من معالم روحيّة ودينيّة تُقصد للعبادة والتبرك والاعتبار، والرغبة في لقاء علماء كبار في مختلف العلوم ومجالستهم والأخذ عنهم، ولما يحسّه الرّحالة من روابط تاريخيّة وحضاريّة تربط بين المشرق والمغرب، واشتراك في الأهل والنسب أحيانًا كثيرة، فالإحساس بالوحشة والاغتراب والحزن يكاد ينعدم عند المغاربة

---

(١٠) انظر: زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٤٥. د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٤٥-١٥٩.

(١١) انظر: حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، ص ١٩. د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٣٢٣-٣٣٨. زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ٧٠-٨٨.

(١٢) انظر: زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ١٣٦-١٧١. د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٣٦٩-٣٨٦. حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، ص ٣٥.

(١٣) انظر: د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٣٥٥-٣٥٩.

(١٤) انظر: حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، ص ٥٥-٦٧. د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٢٢١-٢٣٢.

والأندلسيين وهم يزورون المشرق، أو يمكثون فيه لفترات طويلة، بسبب تلكم الروابط الدينية والروحية والاجتماعية التي تربط بين الإقليمين.

ومن هنا كان أدب الرحلات هو ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان، حيث يسجل انطباعاته، ويصف ما يراه من عادات البشر وسلوكهم وأخلاقهم، كما يهتم بذكر الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية التي يشاهدها ويتفاعل معها، لذلك فإن أدب الرحلات يُعدُّ مصدرًا مهمًّا للدراسات التاريخية المقارنة، كما تُعدُّ كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها ممتعة مسلية من ناحية، ومفيدة تاريخيًّا وحضاريًّا من ناحية أخرى.

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو بكر بن العربي وأهمية رحلته

أولاً: أبو بكر بن العربي: المولد والنشأة:

وُلد أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي في أشبيلية، ونشأ نشأة دينيَّة، وحفِظ القرآن الكريم ابنَ تسع سنين، ثم أتقن العربيَّة والشعر وعلمِ الحساب على يد أبيه وخاله، وجلس إلى العُلماء واستمع منهم حتى أصبح من حفاظ الحديث، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، كما برع في الشعر والأدب([١٥]).

"وكان أبوه أبو محمَّد بأشبيلية بدرًا في فلكها، وصدرًا في مجلس ملكها، واصطفاه معتمد بني عبّاد، .... وولاة الولايات الشريفة، وبوّأه المراتب المنيفة"([١٦])، "وكان من أهل التفنن في العلوم، متقدِّمًا في المعارف كلها، متكلمًا على أنواعها، حريصًا على نشرها، وقام بأمر القضاء أحمد قيام، مع الصَّرامة في الحق، والقوَّة والشدَّة على الظَّالمين والرِّفْق بالمساكين ..... وقيَّد الحديث، وضبط ما روى، واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام"([١٧]).

ثانيًا: أبو بكر بن العربي: الأديب الرحالة:

عرف النَّاس أبا بكر بن العربي قاضيًا وفقيهًا إسلاميًّا كبيرًا، ومفسِّرًا للقرآن وشارحًا للسنَّة، كما أنه يعدُّ أصوليًّا عظيمًا، وتناسى الجميع أنه أديب ورحَّالة مشهور، ربَّما ساعد على ذلك أنَّ أصل رحلة ابن العربي "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة" يُعَدُّ

([١٥]) انظر: ابن العربي: قانون التأويل- دراسة وتحقيق: محمد السليماني- منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت- ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ٤١٥-٤١٩. سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي- دار الغرب الإسلامي- بيروت - ط١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، ص ١٨٧-١٩١. حيث ذكر ابن العربي بنفسه نشأته العلمية وما تلقاه من العلوم والمعارف في هذه الفترة الأولى من حياته. وانظر أيضًا: ابن بشكوال: الصلة - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة- سلسلة المكتبة الأندلسية (٤)، ١٩٦٦ م، ١/ ٥٩٠-٥٩١، الترجمة رقم ١٢٩٧. الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- دار الكاتب العربي (الهيئة المصرية العامة للكتاب حاليًا) - القاهرة - سلسلة المكتبة الأندلسية (٦) - ١٩٦٧ م، ص ٨٣.

([١٦]) المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تحقيق إحسان عباس- دار صادر - بيروت، ١٩٦٨ م، ٢/ ٣٤.

([١٧]) المصدر السابق، ٢/ ٢٩.

من مؤلَّفاته المفقودة والَّتي لم تصِل إلينا كاملة، وقد فقد الكتاب في حياة مؤلِّفه، ويخبرُنا بذلك ابن العربي نفسُه عندما يقول: "إن الحوادث قد استلبته"(١٨).

ولكن ابن العربي حفِظ لنفسه مكانة متميِّزة في تاريخ الأدب العربي، كرائد من روَّاد أدب الرحلات، عندما قام بتجريد جانب من رحلتِه: "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة"، أسماه: "شواهد الجلَّة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان"(١٩). كما قام ابن العربي بكتابةِ تلْخيص آخر لرحلته، في مقدمة كتابه: "قانون التأويل"، وقد قام الأستاذ سعيد أعراب بتجْريد هذه الخلاصة، وعمِل على تحقيقها، وألْحقها بدراسة له عن ابن العربي(٢٠).

وما قام به ابنُ العربي من تلْخيص لرحلتِه، لا يمكن أن يعوِّضَنا أبدًا عن الأصل المفقود لكتابه: ترتيب الرحلة، ولا يمكن تتبُّع كلّ خطوات رحلة ابن العربي، ولكنه يُمكننا من أن نرسم صورةً واضحة لملامح رحلته، وسوف نعمل على توضيح هذه الصورة أكثر، إذا قمنا بتجميع ما تناثر في بطون الكتُب التي صنَّفها ابن العربي، ووصلت إلينا، مثل كتاب: أحكام القرآن، وكتاب: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، والتي جاء فيها إشارات مهمَّة عن رحلاته.

ثالثًا: أهمية رحلة أبي بكر بن العربي:

إنَّ ما يجعلنا نهتمّ برحلة أبي بكر بن العربي المعافري إلى المشرق؛ أنَّها كانت أسبق الرّحلات الأندلسيَّة، فهي من حيث التاريخ أسبق بنصف قرن، على الأقل، من رحلة ابن جُبير الكناني (المتوفى سنة٦١٤هـ/١٢١٧م)، فأبو بكر بن العربي هو أوَّل أندلسي يصف رحلتَه إلى بلاد المشرق وصفًا دقيقًا، وأوَّل مَن دوَّن رحلته في كتاب أسماه: "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة"(٢١)، وهو بذلك يعدُّ رائدًا لأدب الرحلة

---

(١٨) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤١٤.

(١٩) تمَّ نشْر هذا الكتاب بتحْقيق محمد يعلى- ضمن كتاب: ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي: (كتاب الأنساب لابن عبد الحليم ق ٨ هـ/١٤ م - كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول- كتاب شواهد الجلة لابن العربي ٥٤٣ هـ/ ١١٤٩ م)- سلسلة المصادر الأندلسية (٢٠)- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد-١٩٩٦م.

(٢٠) سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م. وانظر: د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٣٢٢ حيث أشار إلى أن ابن العربي كان من أوائل الرحالة المغاربة الذين دونوا رحلاتهم.

(٢١) انظر: ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤١٤.

المشرقية والرحلة إلى طلب العلم، ليس في بلاد الأندلس وحسب، بل في بلدان العالم الإسلامي كله بصفة عامة، وفي الغرب الإسلامي بصفة خاصة(٢٢).

عندما أقدم ابن العربي على تدوين رحلته إلى بلاد المشرق، وتدوين مشاهداتِه وانطباعاته التي تركتها هذه الرحلة في نفسه، ووصف البلاد التي مرَّ عليها، وتدوين الأحداث التاريخيَّة التي شاهدها وعايشها، وذِكره للعلماء الذين قابلهم وأخذ عنهم، لفتَ ابنُ العربي بذلك العمل الأنظارَ إليه، وإلى أهميَّة العمل الأدبي الذي قام به، حيث كانت هذه الخطوة هي أوَّل خطوة في عمليَّة تدوين أدَبِ الرحلات، فابنُ العربي هو أوَّل مَن وضع أسُسِ فنِّ الرحلات، وتدوينها على هيئة مذكرات يوميَّة، ووصف مشاهداتِه وانطباعاته بكل دقَّة وأمانه في الوصف.

والَّذي يؤكِّد على أهميَّة عمل ابن العربي وتميُّزه: أنَّه جاء عملاً مخالفًا لكلِّ أنماط الكتابة السَّائدة، والتي كانت تنحصِر- في الغالب-في كتابة التَّقارير العسكريَّة من قادة الجيوش الإسلاميَّة عن طبيعة البلاد المراد فتحها، أو مشاهدات الجغرافيِّين، ومعاينتهم لطبيعة الأرض، ووصف تضاريسها ومظاهرها الطبيعيَّة في البلدان المختلفة، أو الحكايات العجيبة والغريبة التي شاهدها بعض التجَّار المغامرين في أسفارهِم ورحلاتِهم، أو كتُب المسالك والممالك، وكتب البلدان، وكتب فضائل المدُن، وكتب الخطط والآثار وغيرها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رابعًا: الغرض من الرحلة وخط سيرها:

أما عن خطِّ سير الرِّحلة فسوف نقوم الآن بمحاولة رسم خطِّ سير رحلة ابن العربي، وتتبُّعها من خلال التلخيص الَّذي قيَّده في كتاب: "قانون التَّأويل"، ثمَّ نقوم بتجميع ما تناثر في بطون الكتب التي صنفها ابن العربي، والتي جاءت فيها إشارات مهمَّة عن رحلتِه، ثمَّ ترتيبها حسب السِّياق الزَّمني، لتكون سرديَّة متَّصلة متماسكة، ولا يوجد بين مراحلها أيَّة فجوات تحرِم القارئ لذَّة تتبُّع هذه الرحلة.

أ- الغرض من الرحلة:

تعددت آراء المؤرخين حول الغرض من رحلة القاضي أبي بكر بن العربي إلى المشرق، وسنحاول في السطور التالية أن نسرد تلك الآراء ونناقشها.

---

(٢٢) أغناطيوس كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي- ترجمة: صلاح الدين هاشم- لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ١٩٦٣ م، ص ٢٩٨.

١- أداء فريضة الحجّ:

عندما بلغ ابنُ العربي سنَّ السابعةَ عشرة، ارتحل به أبوه من إشبيلية Sevilla إلى المشرق، بعد سقوط مملكة بني عباد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، واستولى المرابطون على إشبيلية، وصادروا أموال أمرائها ووزرائها(٢٣)، فما كان من الوالد إلاّ أن اختار أن ينأي بنفسِه وولده عن جحيم السياسة، بالارتحال إلى المشرق؛ لأداء فريضة الحج، حيث كان الوالد من رجالات بني عباد الملازمين لهم، والعاملين في خدمتهم(٢٤).

٢- طلب العلم:

يذكر ابن العربي غرضًا آخر للرحلة وهو طلبه للعلم، فيقول: "وكان الباعث على هذا التشبُّث - مع هول الأمر - همَّة لزمت، وعزمة لَجمت، ساقتها رحمة سبقت، ولقد كنت يومًا مع بعض المعلّمين، فجلس إلينا أبي- رحمة الله عليه- يُطالع ما انتهى إليه علمي.... فدخل إلينا أحد السَّماسرة وعلى يديه رزمة كتب... فإذا بها من تأليف السمناني شيخ الباجي، فسمِعْتُ جَميعَهم يقولون: هذه كتب عظيمة، وعلوم جليلة، جلَبها الباجي من المشرق، فصدعت هذه الكلمة كبدي، وقرعت خلدي، وجعلوا يُوردون في ذكره ويُصدرون، ويحكون أنَّ فقهاء بلادِنا لا يفهمون عنه ولا يعقلون... ونذرت في نفسي طيَّة، لئن ملكت أمري لأهاجرنَّ إلى هذه المقامات، ولأفدنَّ على أولاء الرِّجالات، ولأتمرسنَّ بما لديهم من المعاقد والمقالات، واستمررت عليها نيَّة، واكتتمتُها عزيمة"(٢٥).

٣- الغرض السياسي:

يذكر ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م) غرضًا آخَر من أغراض الرِّحلة، وهو الغرض السياسي؛ حيث خرج عبد الله بن العربي وابنه، مُوفدَين من يوسف بن تاشفين إلى عاصمة الخلافة، فيقول: "ولمَّا مُحِي رسم الخلافة وتعطَّل دَسْتُها، وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسُف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العُدوتين، وكان من أهل الخير والاقتداء، نزعت همَّته إلى الدُّخول في طاعة الخليفة، تكميلاً لمراسم دينِه، فخاطَب المستظهِر العبَّاسي، وأوْفد عليه ببيعتِه عبد الله ابن العربي،

---

(٢٣) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٧٧ (مقدمة المحقق).

(٢٤) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي-سلسلة المكتبة الأندلسية (٧)- دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (الهيئة المصرية العامة للكتاب حاليًا)-القاهرة-١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م، ص ٦.

(٢٥) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٢٠-٤٢٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وابنَه القاضي أبا بكر من مشيخة إشبيلية، يَطْلُبان توليَته إيَّاه على المغرب وتقليده ذلك، فانقلبا إليْه بعهد الخلافة له على المغرب"(٢٦).

٤- **هذا بخلاف غرَض السِّياحة والتجْوال**، وهذا الغرض واضح جدًّا من خِلال تتبُّع رحلة ابن العربي، وقيامه بِجولات استِكشافيَّة ووصفيَّة.

قد تتعدَّد الأغراض في الرِّحلة الواحدة، ورحلة ابن العربي من ذلك النَّوع من الرحلات، وهو نوعٌ يَحتاج رحالة مختلفًا من طراز خاصّ، يكون صاحب ملكات، ومواهب خاصَّة، وثقافة واسعة، وإحاطة بعلوم شتى، وله من العلاقات ما يَجعله يواصل رحلتَه بنفس الكفاءة التي بدأ بها، وقد توافرت هذه المواصفات في ابن العربي.

قلت: إنَّ رحلة ابن العربي كانت لها أغراضها المختلفة، منها أداء فريضة الحج، وطلب العلم، والسياحة والتجوال، ولا يستبعد أبدًا أن يكون لها غرضٌ سياسي، ولكن سياق الرحلة، وما تحصَّلْنا عليه من نصوص مكمِّلة للرِّحلة لا يدلّ على ذلك، ربَّما يفيدنا كتاب "شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان" في إثبات ذلك، ولكنَّا حتى هذا الوقت لم يتيسَّر لنا الاطلاع عليه.

ب- خط سير الرحلة ومضمونها:

إشبيلية ومدن الأندلس: هنا نحاول أن نرسم خط سير هذه الرحلة وما شاهده فيها ابن العربي من معالم حضارية، وآثار ثقافية، وجوانب علمية، وقد بدأه ابن العربي بوصف يوم خروجه هو وأبيه من إشبيلية **Sevilla** بأنه كان يومًا صعبًا، بل يصفه بأنَّه أعجب يوم مرَّ عليه(٢٧)، ويصف ساعة خروجُهم من إشبيلية فيقول: "خرجْنا والأعداء يشمتون بنا"(٢٨)، "خرجْنا مكرمين، أو قُل: مُكرَهين، آمنين، وإن شئت خائفين"(٢٩).

خرج الشَّيخ والفتى من إشبيليَّة **Sevilla** صبيحة الأحد مستهلَّ ربيع الأوَّل عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢ م، متوجِّهين إلى مالقة **Málaga**، ومنها إلى غرناطة **Granada**، التي لم يُطِل فيها المقام، فتابع سيرَه إلى المرية **Almería**، وأوَّل

---

(٢٦) ابن خلدون: مقدّمة ابن خلدون – تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي- مكتبة الأسرة- القاهرة، ٢٠٠٦ م، ٢/ ٦١٦-٦١٧.

(٢٧) ابن العربي: قانون التَّأويل، ص ٤٢٠.

(٢٨) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٢٠.

(٢٩) المصدر السابق، ص ٤٢٢.

عمل يقوم به أبو بكر بن العربي في كلِّ بلد ينزل إليه هو البحث عن العُلماء، ومحاولة الاتصال بهم، والجلوس إليهم(٣٠).

* * *

بجاية ومدن إفريقية (المغرب الأدنى): ثمَّ ركب البحْر إلى بجاية، وكان بمرفأ بجاية بعض العلماء، حرص ابن العربي على لقائهم، وكان يجد من حفاوة الترْحاب والاستقبال من كبار القوْم والمبالغة في إكرامهم، ولمَ لا وابن العربي الأب وزير سابق في حكومة إشبيلية السابقة؟!

ثمَّ تابعا سيرَهما طورًا بالبَرِّ وطورًا بالبحر، ومرًّا في طريقهما على بونة (أو عنابة)، ثمَّ دخلا تونس، ثم زارا سوسة، والمهدية. وقد التقى أبو بكر بن العربي بجملة من عُلماء وفقهاء القيروان، وقد أبدى إعجابه بما سمع وتعلم، حيث قال: "فلمَّا لمح لي هذا الكوكب بطريقة القيروان، واستنارت لي فيها بنوع من البرهان، واستبرأتها بواضح من الدلالات غضّ النبات والأفنان، قلت: هذا مطلبي، فأخذت في قراءةِ شيءٍ من أصول الدين، والمناظرة فيها مع الطَّالبين، ولزمت مجالس المتفقهين"(٣١)، ولم ينسَ أن يقيّم ابن العربي حالة الأدَب في القيروان بأنَّها: "على حالة وسطى"(٣٢).

* * *

برقة وساحل طرابلس: ثمَّ ركبا البحْر من المهدية متَّجهين إلى الحجاز، ويصف ابن العربي ركوبَه البحْر أثناء رحلتِه من إفريقية وصفًا دقيقًا ممتعًا، وكيف عصفت بهم الرِّيح، وقسا البحرُ عليهم، فتحطَّمت السَّفينة، ونجا أبو بكْر وأبوه من الغرق، وكان خروجُهما بموضع من ساحل طرابلس (برقة)، تسكنه بيوت من بني كعب بن سليم، قال: "وقد سبق في عِلْم الله أن يعظم علينا - أي البحْر- بزوله(٣٣)، ويغرقنا في هوله، فخرجنا من البحر خروج الميِّت من القبر، وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كعب من سليم، ونحن من السَّغب(٣٤) على عطب، ومن العري في أقبح زي، قد قذَف البحر زقاق زيت مزَّقت الحجارة هيئتها، ودَسَّمَتِ الأدهان وَبَرَها وجلدتَها، فاحتزمناها أُزرًا، واشتملناها لففًا، تمجُّنا الأبصار، وتخذلنا الأنصار، فعطَف

---

(٣٠) المصدر السابق، ص ٤٢٣-٤٢٤.

(٣١) المصدر السابق، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٣٢) السابق، ص ٤٢٨.

(٣٣) أي: بعجائبه.

(٣٤) السغب: الجوع مع التعب.

أميرُهم علينا..... فأوينا إليه فآوانا، وأطعمنا الله على يديه وسقانا، وأكرم مثوانا وكسانا"(٣٥).

ثمَّ يحدِّثنا أبو بكر بن العربي عن المبالغة في وصف ما نالهم من إكرام الأمير لهم، وعرضه عليهم البقاء: ".. وأقمنا عنده حتى ثابت إلينا نفوسُنا، وذهب عنا بؤسُنا، وسألنا الإقامة عنده على أنْ يُصَيِّر إلينا صدقات بني سليم كلَّها، فأبينا إلاَّ الاستمرار على العزيمة الأولى، والتصميم إلى المرتبة الكريمة التي كانت بنا أولى، ففارقناهُ، ..... وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر، فألفينا بها جماعة من المحدِّثين والفقهاء والمتكلِّمين"(٣٦).

* * *

مصر: نزل ابن العربي في مرفأ الإسكندريَّة ولم يطل بهم المقام بها، ومن ثمَّ واصلا سيرَهُما إلى القاهـــرة، وكان وصولهما إليها في أواخـــر ربيع الثاني سنة ٤٨٥ هـــ/ ١٠٩٢ م.

ويصف ابن العربي حالة الركود العلمي لعلماء مصر، والظروف السيِّئة التي تمرُّ بها البلاد في ذلك الوقت قائلا: "ألفينا بها - أي مصر - جماعةً من المحدِّثين والفقهاء والمتكلمين، والسلطان عليهم جريٌّ(٣٧)، وهم من الخمول في سرب خفي، ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جريء، لا ينبسون إلى العلم ببنت شفة، ولا ينتسب أحدٌ منهم في فنٍّ إلى المعرفة، بله الأدب.."(٣٨).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورغم هذه الحالة التي كان عليها علماء مصر، إلاَّ أنَّ أبا بكر بن العربي كان يتردَّد على مجالس القرَّاء، ويبدي إعجابه بطريقة القراء المصريين فيقول: "وقَدْ سَمِعْت تَاجَ القُرَّاءِ ابْنَ لُفْتَة بجامع عَمْرٍو يَقْرَأ: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} [الإسراء: ٧٩]، فكأنِّي ما سَمِعْت الآيَةَ قَطُّ، وسَمِعْت ابْنَ الرَّقَّاء - وكَانَ مِن القُرَّاءِ العِظَام - يَقْرَأُ، وأنَا حَاضِرٌ بالقَرافَةِ: {كهيعص} فكأنِّي ما سَمِعْتهَا قَطُّ،..... والقُلُوبُ

---

(٣٥) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٣٦) المصدر السابق، ص ٤٣١-٤٣٢.

(٣٧) الجريُّ هو الوكيل، والسلطان الذي يعنيه ابن العربي هنا هو: معد بن الظَّاهر بن الحاكم بأمر الله، خامس خلفاء مصر من بني عُبيد (٤٢٠-٤٨٧ هـــ/ ١٠٢٨-١٠٩٣ م). انظر: قانون التأويل، ص ٤٣٢، حاشية رقم ٢. وراجع: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- المؤسسة المصرية للترجمة والنشر- القاهرة - (د. ت)، ٥/ ١٤٠.

(٣٨) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٢.

تَخْشَعُ بالصَّوْتِ الحَسَنِ كَما تَخْضَعُ للوَجْهِ الحَسَنِ، وما تَتَأَثَّرُ به القُلُوبُ فى التَّقْوَى فهُوَ أعْظَمُ في الأجْرِ وأقْرَبُ إلى لِينِ القُلوبِ وذَهابِ القَسْوَةِ مِنْها"(٣٩).

وفى مصر تدرَّب أبو بكر على الجدل، وناظر الشِّيعة والقدريَّة، ويصف هذه الطَّوائف قائلاً: "أمَّة غلب عليها سوء الاعتقاد، ونشئت من غير فطم بلبن العناد، واستولى اليأس منهم بما هم فيه من الفساد"(٤٠).

* * *

فلسطين: ومن مصر انطلقا إلى فلسطين، وواصلا السير إلى بيت المقدس، وفى هذه الجولة من الرحلة يمدنا ابن العربى بمعلومات مهمة عن الجوانب الدينية والعلمية فى القدس فى هذه الفترة، ويحدثنا عن العديد من جولاته الأثرية فيها، وسنأتى عليها بالتفصيل، فهى موضوع البحث.

* * *

عسقلان وما جاورها: وبعدها يزور مدينة عسقلان، فينجذب إليها، ويعجب بنشاط أهلها، وخفة روحهم، فيقيم بها نحو ستة أشهر، ويتخذ جملة من الرُّفَقاء والإخوان، لولا هاتف ديني أوْحى إليه بالرحيل ما كان يترك تلك البلدة رغم إلحاح أبيه عليه بالرَّحيل، وأفصح لأبيه عن نيَّته فى الرَّحيل، فسرَّ بذلك، وركبا البحر إلى عكا، ثم عرجا على طبرية وحوران، ثمَّ دمشق(٤١).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

دمشق: وقد وصل أبو بكر بن العربى وأبوه إلى دمشق فى الشُّهور الأولى من سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، واختار ابن العربى من باب الفراديس مقرًّا له، ويصف هذا الباب فيقول: "بابُ الفراديس لَيْسَ فى الأرْض مِثْله، عِنْدَهُ كَانَ مَقرِّي، وإليْهِ مِن الوَحْشَةِ كَانَ مَفرِّي، وإليْه كانَ انفِرادي لِلدَّرْسِ والتَّقرِّي"(٤٢).

لم يطل المقام بابن العربى فى دمشق؛ لأنَّ الحركة العلميَّة فيها تكاد تكون متشابهة مع الحركة العلميَّة التى فى القدس كما سنرى، فدمشق لن تضيف إليه جديدًا، فنوى الرَّحيل إلى بغداد، وعلى الرَّغم من قِصَرِ مدَّة الإقامة فى دمشق، إلا أنَّ ابن العربي كانت له جولاته ومشاهداته التي لم يفته تدوينها، فوصف لنا المعالم

---

(٣٩) ابن العربي: أحكام القرآن- تحقيق: محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت- ط ٣، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، ٤/ ٤-٥.

(٤٠) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٣.

(٤١) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٤٢) ابن العربي: أحكام القرآن، ٤/ ٣٩٢.

الأثريَّة والتَّاريخيَّة في دمشق، كما صوَّر عمران دمشق وتقدُّمَها في أسباب الرَّفاهة والصِّيانة والنعيم(٤٣).

* * *

بغداد: لم يطل المقام بابن العربي في دمشق، فرحل إلى بغداد، في شعبان سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، وأهلَّ هلال رمضان والقافلة على مشارف العراق، فلمَّا دخل دار السَّلام، كان أوَّل شيء يفعله هو السُّؤال عن حلقات أهل العلم، فدلُّوه على المدرسة النظاميَّة، ولكنَّ إقامة ابن العربي لم تطل بالعراق أكثر من ثلاثة أشهُر(٤٤)، حيثُ نوى أداء فريضة الحجّ هذا الموسم، ورحل ابن العربي إلى الحجاز أواخر ذي القعدة سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م.

* * *

الحجاز: خرج ابن العربي من بغداد، إلى بلاد الحجاز، قاصدًا الحجّ، فأحرم من ذات عرق - وهو ميقات الحجيج القادمين من العراق ونواحيها - يقول ابن العربي: "وأمَّا أنا فجئت مراهقًا من ذات عرق إلى الموقف ليلة عرفة، نصف الليل، فأصبحت بها، ووقفت من الزَّوال يوم الجمعة سنة سبع وثمانين وأربعمئة(٤٥)، ثم دفعت بعد غروب الشمس إلى المزدلفة، فبتُّ بها"(٤٦).

ولا يُخفي ابنُ العربي شعورَه الجارف بالسَّعادة لأدائه فريضة الحجّ في هذا الموسم؛ لأنَّ وقفة عرفة جاءت في يوم الجمعة، فاجتمع للحجيج فضل اليومين، "لمَّا كانت سنة تسع وثمانين وأربعمائة(٤٧) أهلَّ علينا هلال ذي الحجَّة ليلة يوم الخميس...

---

(٤٣) انظر: ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٤٤-٤٤٦.

(٤٤) أفاض ابن العربي في رحلته إلى العراق في الحديث عن العلماء الذين قابلهم وتلقى عنهم، وكانت له معهم مداخلات ومناظرات علمية، حيث يذكر أنه لقي أبا بكر الشاشي فقيه الوقت وإمامه (قانون التأويل، ص٤٤٩)، ولقي الشيخ الطوسي شيخ الشيوخ وصاحب الباع والرسوخ في العلم (قانون التأويل، ص٤٥٢)، كما سرد عددًا من الكتب التي قرأها واطلع عليها خلال هذه الرحلة، مثل: تفسير الثعالبي، وكتاب الماوردي، ومختصر الطبري، وغيرها(قانون التأويل،ص٤٥٥-٤٥٦).

(٤٥) هذا تصحيف والصَّحيح أنَّها سنة تسع وثمانين وأربعمئة.

(٤٦) ابن العربي: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي- دار الكتب العلميَّة - بيروت - ط١، ١٩٩٥ م، ٤/ ١٥٣.

(٤٧) اتَّخذ البعض من هذا النَّص، والنَّص السَّابق عليه، حجَّة بأنَّ ابن العربي قام بأداء فريضة الحج مرَّتين: المرَّة الأولى: كانت في عام ٤٨٧هـ/١٠٩٣م. والمرة الثانية: كانت في عام ٤٨٩هـ/١٠٩٥م. وهذه مغالطة بُنيَت على تحريف في النَّصّ، فالفرق بين سنة سبع وثمانين

وقد فرح الناس بوقفة الجمعة ليجتمع لهم فضل اليومين: فضلُ يوم عرفة وفضل يوم الجمعة؛ ولأنَّ حجَّ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أيضًا كان يوم عرفة يوم الجمعة"([٤٨]).

وقد شاهد قافلةً من الحجيج الشِّيعة القادمين من العراق سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، وقد تركوا الإحرام من ميقات ذات عرق، فـ "الشيعة لا يُحرمون منه"([٤٩]).

ومنَ المشاهد المهمَّة التي سجَّلها ابن العربي أثناءِ إقامته بمكَّة في موسم الحجّ: مشهد مبيت الحجَّاج بعرفة ليلة عرفة، قال: "مررت من ذات عرق، فألفيت الحاجَّ كلَّه بائتًا بعرفة ليلة عرفة"([٥٠]).

"وهذا بخلاف السنَّة النبويَّة؛ إذ ينبغي أن يكونَ مبيت الحاجِّ في تلك الليلة بمنى لا عرفة"([٥١])، "وليس على مَن فعل ذلك شيء، ولكنه تركَ فعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولقد خاب مَن تركه" كما قال ابن العربي([٥٢]).

ويعلِّق أحد الباحثين على هذا المشْهد، ذاكرًا سبب عدم مبيت الحجيج في منى فيقول: "الحجيج في ذلك الوقت كانوا غير آمنين على أنفُسِهم أثناء تأدِيَتهم لمناسك الحجّ، فاضطروا إلى ترك سنَّة المبيت بمنى في اليوم الثَّامن من ذي الحجَّة، فكانوا يصعدون إلى منى في ذلك اليوم، ثمَّ يتوجَّهون منها مباشرة إلى عرفة؛ خوفًا من غارات محتمَلة قد يشنها بنو شعبة على الحجَّاج أثناء صعودهم لعرفات"([٥٣]).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأربعمئة، وتسع وثمانين وأربعمائة يسير، والدَّليل على أنَّ ابن العربي لم يحجَّ في سنة سبع وثَمانين وأربعمئة أمران: أوَّلاً: أنَّه بدأ رحلته، سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م، وكما يقول ابنُ العربي: إنَّه أقام في القدس ثلاث سنوات، فمعنى ذلك أنَّ ابن العربي كان ما زال في القدس سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٣ م. ثانيًا: أنَّ ابن العربي جاء الحجاز قادمًا من العراق، والدَّليل على ذلك أنَّه أحرم من ذات عرق - وهو ميقات الحجيج القادمين من العراق - فكيف لابن العربي أن يَخرج من العراق لأداء فريضة الحج سنة سبع وثَمانين وأربعمئة، وهو ما زال بالقدس، والصحيح المتَّفق عليه أنَّ ابن العربي لم يؤدِّ فريضة الحجّ إلاَّ مرَّة واحدة سنة تسع وثَمانين وأربعمئة.

([٤٨]) ابن العربي: عارضة الأحوذي، ٤/ ٤٩-٥٠.

([٤٩]) ابن العربي: عارضة الأحوذي، ٤/ ٤٩.

([٥٠]) المصدر السابق، ٤/ ١١٠.

([٥١]) انظر: محمد أحمد العقيلي: "قبيلة بني شعبة"- مجلة العرب (ج١١- ١٢) سنة ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م - الرياض- دار اليمامة، ص ٨٩٧-٨٩٩.

([٥٢]) ابن العربي: عارضة الأحوذي، ٤/ ١١٠.

([٥٣]) محمد أحمد العقيلي: "قبيلة بني شعبة"، ص ٨٩٧-٩٠٠.

ثم يقول ابنُ العربي: "لقد كُنْت بمكَّة مُقيمًا في ذي الحِجَّةِ، سنَة تِسع وثَمانِينَ وأربعمِئَةٍ، وكنت أشرَبُ ماءَ زَمْزَمَ كثيرًا، وكُلَّما شربْته نوَيْت به العِلمَ والإيمانَ، حتى فَتَحَ اللَّه لي بَرَكَته في المِقْدار الذي يَسَّرَهُ لي مِن العِلم، ونسِيت أن أشرَبَه للعَمَل، ويا لَيْتَني شربْته لهُما حتى يَفْتَحَ اللَّهُ عليَّ فِيهما، ولمْ يُقَدِّرْ، فكانَ صَغوي إلى العِلم أكثَرَ مِنهُ إلى العَمل"([٥٤]).

وصف ابن العربي مشاهداتِه ودوَّن انطباعاته، فصوَّر لنا معالم الحرم المكِّي، كما توقَّف عند المعالم الأثريَّة والتَّاريخيَّة بمكَّة، وتحرَّى الدقَّة في استِقصاءِ الأخبار، وحرص على وصْف نُظم التعليم ووسائله في مكَّة، وأبدى إعجابه الشَّديد بتلك الوسائل، كما أثنى على الطَّريقة المتبعة في التعليم، والتِي تقوم على أساس التدرُّج في اكتِساب العلوم، فيقول: "كنت أحْضُرُ عِندَ الحاسِبِ بتِلْكَ الدِّيار المُكرَّمةِ، وهُوَ يَجْعَل الأعْدادَ على المُتَعَلِّمِينَ الحَاسِبِينَ، وأفْوَاهُهُم مَملُوءةٌ مِن الماءِ، حتى إذا انْتَهَى إلقَاؤُهُ، وقالَ: ما مَعَكم؟ رَمَى كُلُّ واحِدٍ بما في فَمِه، وقالَ ما مَعَهُ ليُعَوِّدَهم خَزلَ اللِّسَان عَن تَحْصِيلِ المَفْهُوم عَن المَسْمُوع، وللقَوْم في التَّعلم سِيرَةٌ بَدِيعةٌ، وهِيَ أنَّ الصَّغِيرَ مِنْهُم إذا عَقَلَ بعَثُوهُ إلى المَكتب، فَإذا عَبَرَ المَكتبَ أخَذَهُ بتَعْلِيم الخَطِّ والحِسَاب والعَرَبِيَّة، فإذا حَذَقَهُ كُلَّهُ أوْ حَذَقَ مِنْهُ مَا قُدِّرَ لَه، خَرَجَ إلى المُقْرِئ فَلَقَّنَهُ كِتَابَ اللَّهِ، فَحَفِظَ مِنْهُ كُلَّ يَوْم رُبْعَ حِزْبٍ، أوْ نِصْفَه، أوْ حِزْبًا، حتى إذا حَفِظَ القُرْآنَ خَرَجَ إلى مَا شَاءَ اللَّهُ مِن تَعْلِيم العِلم أوْ تَرْكِه، ومِنْهُم- وهُم الأكْثَرُ- مَنْ يُؤْخِرُ حِفْظَ القُرْآن، ويتَعَلَّمُ الفِقه والحَدِيث وما شَاءَ اللَّهُ، فَرُبَّما كانَ إمامًا وهُوَ لا يحْفَظُه، وما رَأيْت بعَيْنِي إمامًا يَحْفَظُ القُرْآنَ، ولا رَأيت فَقِيهًا يَحْفَظُه إلا اثْنَيْن، ذَلكَ لتَعْلَموا أنَّ المَقصودَ حُدُودُه لا حُرُوفُه، وعُلِّقَت القُلُوبُ اليَوم بِالحُرُوفِ وضَيَّعُوا الحُدُودَ..."([٥٥]).

وحدثنا عن مقام إبراهيم وزيارته له وتحديده بدقة فقال: "إن المفسرين استرسلوا فيه على عادتهم، فقالت طائفة: المقام هو مناسك الحج كلها، وقيل: هو الحجر في أقوال لا يتحصل منه على مقتضى الدليل مراد، والصحيح أنه الحجر الذي قام عليه إبراهيم يدعو حين خلف تركته بمكة، وهو الذي قام عليه حين جاء يُطالع تركته في إسماعيل وأهله، وأثر قدمه فيه إلى اليوم، رأيته ولمسته بيدي وخدي؛ تبركًا به في ذي الحجة من سنة تسع وثمانين وأربعمئة، والحمد لله رب العالمين"([٥٦]).

وابنُ العربي في مكَّة والمدينة لا ينسى طلبَه للعلم، فيواصل ابن العربي طلبَ العِلْم على يد مشايخ وعلماء مكَّة والمدينة، فجلس إليهم مدَّة، ثم "عاد إلى بغداد .

([٥٤]) ابن العربي: أحكام القرآن، ٣/ ٩٨.

([٥٥]) ابن العربي: أحكام القرآن، ٤/ ٣٤٩.

([٥٦]) ابن العربي: عارضة الأحوذي، ١١/ ٨٠-٨١.

* * *

العراق: ثمَّ ارتَحل ابن العربي راجعًا إلى بغداد مرَّة ثانية بعد أدائه فريضة الحجِّ، وأقام فيها بعض الوقت، "وصحب بها كثيرًا من العلماء والأُدباء، فأخذ عنهم وتفقه عندهم، وسمع العلم منهم"(٥٧)، فتتلمَذ على يدِ التبريزي العالم اللغوي (٤٢١-٥٠٢هـ/١٠٢٩-١١٠٨م)، وأبي بكر الشاشي الشافعي (٤٢٩-٥٠٧هـ/ ١٠٣٧-١١١٣م). واستمع إلى دروس أبي حامد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨-١١١١ م)، في المدرسة النظاميَّة، وقد التقى به برباط أبي سعيد بمدينة السلام، في جمادى الآخرة سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م، ولا يُخفِي ابن العربي فرحته بلقاء الإمام الغزالي، وكان يفتخر بالأخْذ عنه، فيقول: "ورد علينا دَانِشْمَنْد(٥٨) فنزل برباط أبي سعد بإزاء المدرسة النظاميَّة، معرضًا عن الدنيا، مقبلاً على الله تعالى، فمشينا إليه، وعرضنا أمنيَّتنا عليه، وقلت له: أنتَ ضالَّتنا التي كنَّا ننشد، وإمامُنا الذي به نسترشد، فلقِينا لقاء المعرفة، وشاهدنا منه ما كان فوق الصَفة، وتحقَّقنا أنَّ الذي نقل إلينا من أنَّ الخبَر عن الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم، ولو رآه عليُّ بن العباس(٥٩) لما قال:

إذَا مَا مَدَحْتَ امْرَأً غَائِبًا ... فَلا تَغْـلُ فِي مَدْحِهِ وَاقْصِدِ
فَإِنَّكَ إِنْ تَغْلُ تُغْلِ الظُّنُو ... نَ فِيهِ إِلَى الأَمَدِ الأَبْعَـدِ
فَيَصْغُرُ مِنْ حَيْثُ عَظَّمْتَهُ ... لِفَضْـلِ المَغِيبِ عَلَى المَشْهَدِ

فقصدت رباطَه، ولزمتُ بساطه، واغتنمت خلْوته ونشاطه"(٦٠).

ثمَّ قام ابنُ العربي بجولة في أنحاء العراق، فزار البصرة، والكوفة، والكرْخ، والموصل.

* * *

في طريق العودة: غادر ابنُ العربي بغداد أواخِر سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م، وغادر العراق إلى الشام، فمرَّ على دمشق والقدس، فجدَّد أبو بكر العهْد بشيوخه في الشام، وطاف على مزارات بيت المقدس(٦١).

---

(٥٧) المقري: نفح الطيب، ٢/ ٢٩-٣٠.

(٥٨) دانشمند: كلمة فارسية تعني العارف، أو الحكيم العلامة، والمقصود بها هنا الإمام الغزالي.

(٥٩) هو الشاعر العباسي المعروف بابن الرومي.

(٦٠) ابن العربي: قانون التأويل، ٤٥٠-٤٥١.

(٦١) انظر: ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٥-٤٣٨. أحكام القرآن، ٢/ ٤-٥، ٦، ٧، وسيأتي الحديث عن هذه المزارات بالتفصيل بعد قليل.

* * *

الإسكندرية: ثم انتقل إلى الإسكندرية أوائل سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، ونزل على أستاذِه أبي بكر الطرطوشي، الذي انتقل هو الآخر إلى ثغر الإسكندريَّة ليتخذه مقرًّا له - وكان الصليبيُّون قدِ استولَوا على بيت المقدس في شعبان سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م - وقد حرَص بها على لقاء جماعةٍ من المحدِّثين، فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادَهم.

ويَحكي عن بعض مشاهداتِه بالإسكندرية فيقول: "وقدْ شَاهَدْت بثَغْر الإسْكَنْدَريَّة إذا مَات مِنهُم ميِّت صَوَّرُوهُ مِنْ خَشَبٍ في أحْسَنِ صُورةٍ، وأجْلَسُوهُ في مَوْضِعِه مِنْ بَيْتِه وكَسَوْهُ بزَّتَه إنْ كانَ رَجُلاً، وحِلْيَتَها إنْ كانَت امْرَأةً، وأغْلَقُوا عَلَيْه البابَ، فإذا أصَابَ أحَدًا مِنهُم كَرْبٌ أو تَجَدَّدَ لَه مَكْرُوهٌ، فتَحَ البابَ عَلَيْه وجَلَسَ عِنْدَهُ يَبْكي ويُناجيهِ بكانَ وكانَ، حتى يَكسِرَ سَوْرَةَ حُزْنِهِ بإهْراق دُمُوعِه، ثُمَّ يُغْلِق البابَ عليْه وينصَرِف عَنْه، وإنْ تَمَادَى بِهم الزَّمانُ يَعْبُدُوها مِن جُمْلَةِ الأصْنَامِ والأوْثَانِ"(٦٢).

وكانت وفاة والده بالإسكندرية، في محرَّم سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، أحد الأسباب القويَّة، الَّتي دفعته للرجوع إلى وطنه، في العام نفسه، بعد رحلة استغرقت ثَمانية أعوام(٦٣)، قضاها ابن العربي، متجوِّلاً في بلاد المشرق الإسلامي، طالبًا للعلم تارة، وحاجًّا تارة، وسائحًا تارة أخرى.

* * *

المغرب: ومن الصعوبة تحديد طريق العوْدة إلى الأندلس، أكانت بحرًا أم برًّا؟، إلاَّ أنَّه نزل بتلمسان، وفاس وأملى بهما مجالس علم كانت مثار إعجاب الحاضرين، ثمَّ مرَّ بأرض دُكَّالة، ثمَّ دخل مَرَّاكش عاصمة المغرب وقابل ابن تاشفين، فتسلم منه المراسم السلطانية التي حملها إليه من عاصمة الخلافة العباسية- بغداد- بتقليده لقب "أمير المسلمين"، وجعله نائبًا عن الخليفة العباسي في أقطار الغرب الإسلامي(٦٤).

* * *

---

(٦٢) ابن العربي: أحكام القرآن، ٤/ ٩.

(٦٣) لقد استغرقت رحلة ابن العربي ثمانية أعوام حتى وفاة والده، وحوالي عشْر سنوات حتى عودته إلى إشبيليَّة، حيث ابتدأ رحلتَه في مستهل ربيع الأول سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م، وكانت عودته سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠١ م.

(٦٤) انظر: ابن العربي: قانون التأويل، ص ٨٨-٨٩ (مقدمة المحقق).

الأندلس: ثم عبر من المغرب إلى الأندلس، "وقدم إلى بلده إشبيليَّة، بعلم كثير لم يدخله أحد قبله، ممَّن كانت له رحلة إلى المشرق"([٦٥])، "فحلها والنفوس إليه متطلعة، ولأنبائه متسمِّعة"([٦٦]).

ويبدو أنَّ ابن العربي، بعد عودته إلى بلاد الأندلس، أكثرَ من الحديث عن رحلتِه، ومشاهداته وانطباعاته عن بلاد المشرق، "ولكثْرة حديثه وأخباره، وغريب حكاياته ورواياتِه، أكثر النَّاس فيه الكلام، وطعنوا في حديثه"([٦٧]).

وكما شاهد ابن العربي سقوطَ دولة بني عباد على يد يوسف بن تاشفين في أوَّل شبابه، شاهد كذلك سقوط دولة بني تاشفين أو دولة المرابطين على يد عبد المؤمن بن علي، صاحب دولة الموحِّدين في أواخر شيخوختِه.

وفي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م ترأَّس ابن العربي وفد (إشبيلية)، لمقابلة عبد المؤمن بن علي بمراكش، إلاَّ أنَّ عبد المؤمن حبس هذا الوفد في مراكش نحو عام لانشغاله بحرب بعض الخارجين عليه، ثم سرَّحوا، وأُذن لهم بمقابلته، فتقدموا للسلام عليه، ثم قدموا له بيعة أهل إشبيلية، فقبلها منهم واستحسن صنيعهم([٦٨])، وتوفِّي ابن العربي في طريق العودة سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م بمقربةٍ من مدينة فاس، ودفِن بها([٦٩]).

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

([٦٥]) المقري: نفح الطيب، ٢/ ٢٩-٣٠.

([٦٦]) المصدر السابق، ٢/ ٣٤.

([٦٧]) المقري: نفح الطيب، ٢/ ٣٠.

([٦٨]) ابن العربي: قانون التأويل، ص ١٠٥-١٠٦ (مقدمة المحقق).

([٦٩]) انظر: ابن بشكوال: الصلة، ٢/ ٥٩١.

القدس في رحلة أبي بكر بن العربي

كانت القدس والمسجد الأقصى المبارك في طليعة الأماكن التي يتوجه إليها العلماء الرحالة من كل أنحاء العالم الإسلامي، لاسيما من المغرب والأندلس، لأنها تمثل مركز جذب رئيسًا، نظرًا للمكانة الدينية التي كانت تتمتع بها باعتبارها أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفضل الصلاة في مسجدها الأقصى كبير، وإليه يشد الرحال، وكانت عملية التواصل معها من قبل علماء الغرب الإسلامي تمثل معلمًا بارزًا من معالم الوحدة الثقافية والحضارية مع العالم العربي والإسلامي عبر العصور.

وفي هذا البحث نحاول أن نتعرف على ظروف القدس وأحوالها السياسية والحضارية من خلال رحلة القاضي أبي بكر بن العربي الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث يمثل رصده لأحوال القدس خلال هذه الحقبة، مصدرًا مهمًا لمرحلة متميزة من مراحل حياة القدس العربية والإسلامية، ويسد نقصًا حقيقيًا عجزت المصادر التاريخية التقليدية عن سده؛ لأنها اهتمت بالظروف السياسية وأغفلت الجوانب الحضارية المختلفة إلا ما ندر. ومع هذه الندرة لا نملك إلا الرجوع إلى كتب الرحلات، بمختلف أنواعها، لتكوين صورة متكاملة عن القدس وتاريخها وحضارتها في حقبها المتعددة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يقف الأمر عند حد الاستفادة مما رصده الرحالة من ظروف وأحوال حضارية في القدس، بل نقف أيضًا عند جهود هؤلاء العلماء القادمين من الغرب الإسلامي، ونشرهم للعلم والمعرفة في القدس، وتواصلهم مع علمائها، واندماجهم معهم، والأخذ عنهم، ومن ثم الرجوع بإرث حضاري متميز من المشرق لنشره في المغرب والأندلس.

القاضي أبو بكر بن العربي في القدس:

بعد زيارة مصر خرج أبو بكر بن العربي وأبوه منها منطلقَيْن إلى فلسطين، وفي نيَّتِهما مواصلة السَّير، فواصلا المسير إلى بيت المقدس، قُبَيْل نهاية سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م، وكانت مقاليد الحكم بيَد السَّلاجقة، وكانوا يعتنقون المذهب السنيّ، ويعملون على نشرِ الوعْي الإسلامي، فأسسوا المدارس، وأسقطوا المكوس، وقربوا

العلماء، فوجد فيها ابن العربى بُغْيَته من طلب العلم، فبها كثرة من العُلماء، وتنوُّع فى المذاهب، ووفْرة في المدارس، وتعدُّد في الأذيان(٧٠).

أولاً: الحركة العلمية في القدس:

وقد بُهر ابن العربى بازدهار الحركة العلمية فى القدس آنذاك، وقد عبر عن ذلك بقوله: "ثم رحلنا عن ديار مصر إلى الشام، وأملنا الإمام، فدخلنا الأرْض المقدَّسة، وبلغنا المسجد الأقصى، فلاح لي بدرُ المعرفة، فاستنرت به أزيد من ثلاثة أعوام... فقلت لأبي رحمة الله عليه: إن كانت لك نيَّة فى الحجّ فامض لعزمِك، فإنى لست برائم عن هذه البلدة حتّى أعلم عِلْمَ مَن فيها، وأجعل ذلك دستورًا للعلم، وسلّمًا إلى مراقيها، فساعدني حين رأى جِدِّي، وكانت صحبتُه لي من أعظم أسباب جَدّي.."(٧١).

ونلاحظ من خلال هذا النص مدى تعلق ابن العربى بالقدس وجوها العلمى الذي كان يبحث عنه ليروي غلته، حيث تخلى عن صحبة والده حينما أراد الذهاب إلى الحج، مفضلاً البقاء فى القدس لطلب العلم وإجادة ما يجيده علماؤها من علوم مختلفة.

وفي رحاب المسجد الأقصى كان ابن العربى يقْضِي معظمَ أوقاته، يظلُّ نهارَه فى الدرس والتحصيل، ويبيت ليله فى التهجُّد والعبادة، وحرص على طلب العلم، واستيفاء تحصيله العلمى من شيوخها، فحرص على لقاء جماعة من العُلماء والمحدّثين الفقهاء الذين أخذ عنهم، وتتلمذ على يد شيخه الأندلسي أبي بكر الفهري الطرطوشي (٤٥١-٥٢٠هـ/١٠٥٩-١١٢٥م)، حيث لازمه أكثر من خمس سنوات ما بين القدس والإسكندرية، وسمع منه، وتلقى عنه العديد من العلوم حتى بزغ نجمه، وذاع صيته في الجدل وعلم الكلام، وأصبحت الأنظار ترنو إليه، واحتل مركزه في صفوف العلماء، واعترف له الشيوخ بالفضل والمزية(٧٢).

وقد أشار ابن العربى إلى أهمية مجلس الطرطوشي العلمى، وتأثيره عليه وعلى سواه من المترددين على مجالس العالم والمعرفة في القدس آنذاك، فقال عن لقائه به: "فشاهدت هديه، وسمعت كلامه، فامتلأت عيني وأذني منه..... وانفتح لى به إلى العلم كل باب، ونفعني الله به في العلم والعمل، ويسَّر لي على يديه أعظم أمل،

---

(٧٠) ابن العربي: قانون التأويل، ٤٣٣-٤٣٦. وراجع: سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص ١٩-٢٠.

(٧١) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٣-٤٣٥.

(٧٢) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٥. وراجع: سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص ٢٧.

فاتخذتُ بيت المقدس مباءة، والتزمتُ فيه القراءة، لا أُقبل على دنيا، ولا أُكلِّم إنسيا، نواصل الليل والنهار فيه، وخصوصًا بقبة السلسلة...."(٧٣).

وقد طالت إقامة ابن العربي ببيت المقدس أربعين شهرًا – أي: ما يزيد عن ثلاثة أعوام– حيث وجد القدس بيئة صالحة للتعلم والتحصيل، كما وجد بها مدارس للشافعية والحنفيَّة، كما أنَّ الشيوخ والعلماء يعقدون مجالس العلم والمناظرة بين أصحاب المذاهب المتعددة، والمناظرة بين أصحاب الديانات المختلفة، لقد أغراه هذا الجوُّ العلمي في القدس، فأقبل على علوم عصره يلتهمُها، فاستوفى علم الكلام، وأصول الفقه، ومسائل الخلاف، الأمر الذي من أجله اتخذ قرارَ تأجيل رحلته إلى الحج، رغم إلحاح والده عليه(٧٤).

المناظرات العلمية في القدس:

أشار ابن العربي أكثر من مرة إلى حضوره التناظر بين الطوائف المختلفة، وتردده على المدارس الموجودة في القدس، وحلقات العلم فيها، من ذلك– مثلاً– قوله: "وحين صليت بالمسجد الأقصى، فاتحة دخولي له، عمدت إلى مدرسة الشافعية بباب الأسباط، فألفيت بها جماعة من علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة عند شيخهم القاضي الرشيد يحي....وهم يتناظرون على عادتهم....."(٧٥)، وكذلك قوله: "وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور التناظر بين الطوائف، لا تلهينا تجارة، ولا تشغلنا صلة رحم، ولا تقطعنا مواصلة ولي، وتقاة عدو"(٧٦).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٧٣) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٥. د. إحسان عباس: "رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل"–مجلة الأبحاث– ج ٢–٣، بيروت، ١٩٦٨م، ص٨٠–٨١. وقبة السلسلة: قبة صغيرة تقع إلى شرق مسجد الصخرة، وهي على مثاله. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي– دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٤/١٧٠. مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل–منشورات المطبعة الحيدرية–النجف، ١٩٦٨ م، ٢/ ١٨.

(٧٤) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٥–٤٣٨.

(٧٥) المصدر السابق، ص ٤٣٣–٤٣٤.

(٧٦) انظر: د. إحسان عباس: "رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل"، ص ٨١. ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٦.

ومن جملة المناظرين الذين أشار إليهم في مدرسة الشافعية التي تقع بباب الأسباط، شيخ الشافعية بالمسجد الأقصى أبو الفضل عطاء المقدسي(٧٧)، والقاضي يحيى بن علي المعروف بابن الصائغ، وقاضي القضاة مجلي بن جميع المخزومي(٧٨).

ويعود الفضل إلى ابن العربي في إشارته إلى المدرسة الحنفية التي تدعى بمدرسة أبي عقبة ببيت المقدس، والتي لم نسمع بوجودها من مصدر آخر(٧٩)، فقد ذكرها في ثلاثة من كتبه(٨٠)، وأشار إلى المناظرات التي كانت تجري فيها، وأن شيخها كان يدعى القاضي أبو الفضل الريحاني(٨١)، وأورد مناظرة جرت أمامه بين هذا القاضي وعالم غريب دخل إلى المدرسة في أحد أيام الجمع، يدعى الصاغاني(٨٢)، وابن العربي بذلك يوثق لأقدم المعاهد العلمية التي كانت موجودة في القدس قبل احتلال الصليبيين لها، وتدميرهم لتلك المراكز العلمية المهمة.

ويظهر كذلك من كلامه أن القدس كانت مركزًا لنشاط المدارس الإسلامية المختلفة، وملتقى المتناظرين المسلمين وغير المسلمين، فقد ذكر أنه حضر مناظرات لعلماء من ملل مختلفة(٨٣)، كما أشار إلى وجود ثمان وعشرين حلقة لطلب العلم في المسجد الأقصى(٨٤)، وإلى وجود عدد كبير من العلماء الوافدين على المدينة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي(٨٥).

كما ناظر هو بنفسه بعض أحبار اليهود، وجرت بينه وبين الباطنية الإسماعيلية مناظرة عظيمة، تحدث عن صعوبتها فقال: "وهي كانت الشدة الرابعة من شدائد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٧٧) انظر: القاضي مجير الدين الحنبلي: الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ١/ ٢٩٨. ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٦.

(٧٨) د. إحسان عباس: "رحلة ابن العربي إلى المشرق"، بحث سابق، ص ٨٠. ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٤٠.

(٧٩) انظر: كامل جميل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس- جمعية المطابع التعاونية- عمان، ١٩٨١ م، ص ٣١.

(٨٠) انظر: "رحلة ابن العربي إلى المشرق"، بحث سابق، ص٨٣. ابن العربي: أحكام القرآن، ١/ ١٥٢، وقد ذكرها في هذا الكتاب باسم "مدرسة أبي عتبة" ولعله تصحيف، حيث ذُكرت في بقية المصادر باسم "مدرسة أبي عقبة". ابن العربي: العواصم من القواصم: تحقيق: د. عمار الطالبي- مكتبة دار التراث – القاهرة – د.ت، ص ٤٥. ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٤١.

(٨١) "رحلة ابن العربي إلى المشرق"، ص ٨٣. ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٩، ٤٤١.

(٨٢) ابن العربي: أحكام القرآن، ١/ ١٥٢. قانون التأويل، ص ٤٤١-٤٤٢.

(٨٣) "رحلة ابن العربي إلى المشرق"، ص ٦٥، ٨١، ٨٢.

(٨٤) ابن العربي: العواصم من القواصم، ص ٤٥.

(٨٥) "رحلة ابن العربي إلى المشرق"، ص ٦٥، ٨٢.

عمري التي أنقذني الله منها....."([٨٦])، كما ناظر بعض رجالات الشيعة، وخاض معارك كلامية مع الكرّامية([٨٧]) والمعتزلة وغيرهم، وكانت له الحجة في كل مناظراته، فخرج منها ظافرًا منتصرًا([٨٨]).

العلوم والمعارف في القدس:

وكانت العلوم الشائعة في فترة زيارته للقدس هي: علم الكلام، وأصول الفقه، ومسائل الخلاف، حيث يشير إلى اطلاعه عليها هناك([٨٩])، كما يذكر أيضًا أنه اطلع على كتاب المدونة بالطريقة القيروانية، التي تقوم على التنظير والتمثيل، والطريقة العراقية التي تقوم على الاستنباط واستخراج العلل ومعرفة الدليل، وبيّن أن دراسة المدونة- وهي الأصل الثاني للفقه المالكي بعد موطأ مالك- في مدينة القدس، كانت تقوم على الجمع بين هاتين الطريقتين([٩٠]).

واهتم ابن العربي بدراسة كتب الحديث في القدس، وأسهم في نقلها إلى المغرب والأندلس، من ذلك مثلا: كتاب المصباح والداعي إلى الفلاح في حديث رسول الله، تأليف أبي الفتح نصر بن إبراهيم النابلسي المقدسي، توفي سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦- ١٠٩٧م)، الذي سمعه منه بلفظه، وحدّث به أحد تلامذته (علي بن خلف بن ذي النون العبسي)، الذي سمعه بدوره أيضًا عن مؤلفه في القدس([٩١])، واستمرت رواية هذا الكتاب في الغرب الإسلامي لمدة ليست بالقصيرة، حتى وردت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

([٨٦]) ابن العربي: العواصم من القواصم، ص ٤٨.

([٨٧]) الكرّامية: هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرّام السجستاني (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م) يوافقون أهل السنة في إثبات الصفات، ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه والتجسيم، وكذلك يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة، ولكنهم يوافقون المعتزلة في وجوب معرفة الله بالعقل. انظر: ابن حزم: الفِصَل في الملل والأهواء والنحل- دار المعرفة- بيروت- ط ٢، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م، ٤/ ٤٥، ٢٠٤، ٢٠٥.

([٨٨]) ابن العربي: العواصم من القواصم، ص ٥٤. وراجع: سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص ٢٣.

([٨٩]) "رحلة ابن العربي إلى المشرق"، ص ٨٢. ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٨.

([٩٠]) "رحلة ابن العربي إلى المشرق"، ص ٦٥، ٨٢. ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٨. وانظر: عبد الجليل حسن عبد المهدي، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي- مكتبة الأقصى، ١٩٨٠ م، ص ٣٢.

([٩١]) ابن العربي: قانون التأويل، ص ٤٣٤، ٤٤٤. وراجع الحاشية رقم ٥ من ص ٤٤٤.

ضمن ما سمعه ابن خير الإشبيلي في فهرسته عن شيوخه في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي([٩٢])

ويتبين مما سبق أن ابن العربي قضى أكثر من ثلاث سنوات في القدس- كما أشرنا من قبل - رافق فيها الشيخ الطرطوشي في حلقاته العلمية، وزار مدارس القدس، ومعاهدها، ومشايخها، وأخذ العلم عنهم. ومن المرجح أن هذه السنوات الثلاث هي التي تقع بين سنتي ٤٨٦ و ٤٨٩ هـ، لأنه غادر في السنة الأخيرة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وبعد ذلك رجع مرة ثانية إلى بغداد، حيث لقي فيها أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الغزالي، وغيرهما من العلماء والأدباء، ثم غادر إلى مصر، ومنها إلى الأندلس، حيث عاد إليها بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق، وتوفي سنة ٥٤٣ هـ/١١٤٨ م([٩٣]).

* * *

ثانيًا: المعالم الأثرية في القدس كما شاهدها ابن العربي:

برغْم اشتغال ابن العربى بالدَّرس والتَّحصيل وطلب العلم والمعرفة، والنهل من العطاء الحضاري المتميز لهذه المدينة المقدسة، إلا أنَّه حرَص خلال جولاتِه، على زيارة قبور الأنبياء والصَّالحين، وتسجيل مشاهداته وانطباعاته، والوقوف على الآثار، وقد سجل لنا فى زياراته مشاهد حية للعديد من الأماكن الأثرية التى زارها، واهتم اهتمامًا بالغًا بوصف كل ما شاهده، فكان دقيق الوصف، جيد الملاحظة، مستغرق الفكر فيما يشاهده، ويظهر هذا من دقته فى حديثه عن الآثار التى استمتع بمشاهدتها، فلم يكن وقوفه أمامها وقوفًا عابرًا، بل وقوف المتأمل المدقق المتريث، فتشعر وكأنه التقط لها صورة فوتوغرافية كاملة المعالم، واضحة المشهد، بحيث لا يغيب عنك شيء من تفاصيلها وجمالها وعظمتها، فكان من أهم هذه المعالم:

- **المسجد الأقصى**: لا شك أنه أكثر الأماكن التى ارتادها ابن العربى، حيث الحلقات العلمية ومجالس العلماء التى هى المطلب الأسمى له في رحلته تلك، ولكن الجديد هنا أنه يمدنا بمعلومات مؤكدة عن مكان هذا المسجد، فيقول: "هذا أمر مستفيض متفق عليه بين الصحابة أن المسجد الأقصى على شرف من الأرض، في سوره

([٩٢]) ابن خير الإشبيلي: فهرسة ما رواه عن شيوخه- نشر: فرانشيسكو قديرة إي زيدين، وخليان ريبيرة طراجو- سرقسطة، ١٨٩٣ م، وأعادت نشره في بيروت- دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩ م، ص ١٥٩.

([٩٣]) ابن بشكوال: كتاب الصلة- الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة، ١٩٦٦ م، ٢/٥٩١. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: د. إحسان عباس- دار صادر- بيروت، ١٩٦٨ م، ٤/ ٢٩٦.

الشرقي باب التوبة والرحمة، يقول الناس إنه الباب الذي أخبر الله عنه بقوله (باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)، يليه خندق يقال له خندق جهنم، وعليه يُنصب الصراط، وفي ضفة الوادي شرقًا الساهرة، وهي أرض المحشر، فيها مسجد عمر بن الخطاب، صلى به حين افتتحها، وقال: هذه أرض المحشر"(٩٤).

- **قبرَ يُوسف-عليه السلام** – حيث زاره وقضى فيه عدة ليالي، فقال: "لا جرم شاهدت قبره في قبلة قبور آبائه إبراهيم وإسحاق وزوجاتهم في قبلة الحرم الذي فيه هذه القبور، زرناه مرارًا، وذكرنا الله فيه، وبتنا ليالي آمنين عنده والحمد لله"(٩٥)، وقال عنه أيضًا: "شاهدناه سنة سبع وثمانين، وجاورنا فيه أعوامًا وأيامًا آمنين في نعم فاكهين، وعلى الدرس والمناظرة متقابلين، وهو في قرية جَيْرُون(٩٦) التي كانت لإبراهيم الخليل، بينها وبين المسجد الأقصى ستة فراسخ في سفح الجبل الذي كان فيه بيت رامة مُتعبَّد إبراهيم الخليل عليه السلام المشرف على مدائن لوط...."(٩٧).

ولم يكتف ابن العربي بذلك، بل يمضي في جولته الأثرية ليحدثنا عن قبور بقية آل يعقوب، فيقول: "وفي وسط القرية (يقصد قرية جَيْرُون المذكورة آنفًا) بنيان مرصوص من حجارة عظام، سورًا عظيمًا، في داخله مسجد، في الجانب الغربي منه مما يلي القبلة إسحاق (يعني قبر إسحاق عليه السلام)، ويليه في الجانب المذكور إبراهيم الخليل، ويليه في الطرف الجوّاني من الجانب الغربي يعقوب على نسبة متماثلة، وفيما يقابلها من الجانب الشرقي قبور أزواجهم على الاعتدال، على كل قبر حجر عظيم واحد، له الطول والعرض والعمق، حسبما بيناه في كتابي ترتيب الرحلة..."(٩٨).

ثم يعود ابن العربي ليحدد بدقة موقع قبر يوسف عليه السلام، ويصف لنا مدى العناية والاهتمام به، حيث كان له قَيِّمٌ مسئول عن صيانته، وكانت له أم تنوب عنه في صيانة القبر إن غاب لأي عارض. ويؤكد على أن هيئة قبر يوسف وشكله الخارجي كهيئة بقية قبور أسرته دون تمييز، فيقول: "وفي الجانب القبلي منه خارج هذا الحرم

---

(٩٤) ابن العربي: عارضة الأحوذي، ١٣/ ٢٧٧.

(٩٥) ابن العربي: عارضة الأحوذي، ٤/ ٢٧٤.

(٩٦) ذكر ابن العربي في موضع آخر من كتابه أحكام القرآن هذا الاسم على أنه باب من أبواب دمشق، حيث قال عنها: "ولها باب جَيْرُون بن سعد بن عُبادة، وعنده القبة العظيمة والميقاتات لمعرفة الساعات...". انظر: ابن العربي: أحكام القرآن، ٤/ ٣٩٢.

(٩٧) ابن العربي: أحكام القرآن، ٣/ ٧٣-٧٤.

(٩٨) المصدر السابق، ٣/ ٧٤.

قبر يوسف منتبذاً، كان له قيم طرطوشي زَمِنٌ، وله أم تنوب عنه، وهيئة قبر يوسف كهيئة قبورهم، وهذا أصح الأقاويل في موضع قبره....."([٩٩]).

- **قبر يونس- عليه السلام** – حيث كان يقع في طريقه من المسجد الأقصى إلى قبر الخليل، وتلقى الكثير من العلم عنده، وقد أشار إلى ذلك فقال: "قصدت قبره مرارًا بقرية جلحون في مسيري من المسجد الأقصى إلى قبر الخليل، وبت فيه، وتقربت إلى الله بمحبته، ودرسنا كثيرًا من العلم عنده...."([١٠٠]).
- **باب حطة**: وهو الباب الثامن من أبواب المسجد الأقصى من جهته القبلية، دخله ابن العربي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٢م، فقال: "....هو باب المسجد الثامن، وهو من جهة القبلة معلوم مذكور، دخلته سنة ست وثمانين، وسجدت وخضعت، وقلت لا إله إلا الله، اللهم احطط عني ذنبي واغفر لي، وبقيت فيه أعوامًا، وكل مرة أكرر هذا الكلام، وأكثر من الدخول والقول: سمعنا وأطعنا، والحمد لله رب العالمين"([١٠١]).
- **مسجد عمر بن الخطاب**: زاره ابن العربي وصلى فيه، وقال عنه: "روي عن عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس، وقف على الطور بشرقيه وقال: هذه أرض المحشر، واتخذ به مسجدًا، رأيته وصليت فيه ما لا أحصي، بينه وبين المسجد وادٍ يُسمى وادي جهنم، وللمسجد باب يقال له باب التوبة والرحمة، يقال إنه الباب الذي باطنه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب...."([١٠٢]).
- **المائدة بطور زيتا**: تعد صخرة المائدة من أروع الأماكن الأثرية التي وصفها ابن العربي في جولاته الأثرية، حيث قال عنها: "شاهَدْت المَائدةَ بطُور زَيْتَا([١٠٣]) مِرارًا، وأكلْت عَلَيْها لَيْلاً ونَهارًا، وذَكَرْت اللَّهَ – سُبْحانَه – فِيهَا سِرًّا وجهارًا، وكانَ ارْتِفاعُها أسْفَلَ مِن القَامَةِ بنَحْو الشِّبْر، وكانَ لهَا دَرَجَتان قَلْبيًّا وجَوْفِيًّا، وكانَت صَخْرَةً صَلْداءَ لا تُؤَثِّرُ فِيها المَعاوِلُ، فَكانَ النَّاسُ يَقُولونَ: مُسِخَت صَخْرَةً

([٩٩]) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

([١٠٠]) ابن العربي: أحكام القرآن، ٢/ ١٩٧.

([١٠١]) ابن العربي: عارضة الأحوذي، ١١/ ٧٨.

([١٠٢]) ابن العربي: عارضة الأحوذي، ٩/ ٤٦، ١٣/ ٢٧٧.

([١٠٣]) طور زيتا: هو جبل الطور المقدسي، ويُعرف في اصطلاح اليوم بجبل الزيتون، وتقع عليه قرية الطور، وهو إلى الشرق من قبة السلسلة الواقعة إلى شرق مسجد الصخرة، واسمه مأخوذ من شجر الزيتون الذي كان موجودًا عليه بكثرة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ١٧٠. ابن العربي: أحكام القرآن، ٢/ ٤. مجير الدين الحنبلي: الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ٢/ ١٨.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذْ مُسِخَ أرْبَابُها قِرَدَةً وخَنَازِيرَ، والَّذي عِنْدي أنَّها كَانَتْ في الأصْلِ صَخْرَةً قُطِعَتْ مِن الأرْضِ مَحلاً للمَائدةِ النازلةِ مِن السَّماءِ، وكلُ ما حَوْلَها حِجَارَةٌ مِثْلُها، وكَانَ ما حَوْلَها محْفُوفًا بِقُصُورٍ، وقَدْ نُحِتَ فِي ذَلكَ الحَجَرِ الصَّلْدِ بُيُوت، أبْوَابُها مِنْها، ومَجالسُها مِنْها مَقْطُوعَةٌ فِيها، وحَنَاياها فى جَوانِبها، وبُيُوت خِدْمَتِها قَدْ صُوِّرَتْ مِن الحَجَرِ، كما تُصَوَّرُ مِن الطِّينِ والخَشَبِ، فإذَا دَخَلْت في قَصْرٍ مِنْ قُصُورِها، ورَدَدْت البَابَ، وجَعَلْت مِنْ وَرَائه صَخْرَةً كَثُمْنِ درْهَم، لم يَفْتَحْه أهْلُ الأرْضِ للصُوقِهِ بالأرْضِ، فإذا هَبَّت الرِّيحُ وحَثَتْ تَحْتَهُ التُرَابَ، لم يُفْتَحْ إلاَّ بَعْدَ صَبِّ المَاءِ تَحْتَهُ والإكْثَارِ مِنْهُ، حتَّى يَسِيلَ بالتراب ويَنْفَرِجَ مُنْعَرَجُ البَاب، وقَدْ مَاتَ بها قَوْمٌ بهَذه العِلَّةِ، وقَدْ كُنْت أخْلُو فِيهَا كَثِيرًا للدَّرْسِ، ولكِنِّي كنت فى كُلِّ حِينٍ أكْنُسُ حَوْلَ البَابِ مَخَافَةَ مِمَّا جَرى لغَيْرِي فِيها، وقَدْ شَرَحْت أمْرَها فى كِتَاب "تَرْتِيب الرِّحْلَة" بأكْثَرَ مِن هَذَا"([١٠٤]).

- **محراب داود عليه السلام**: وصف ابن العربى أيضًا محراب داود-عليْه السلام - بالدقة المعهودة عنه فقال: "شاهَدْت مِحْرابَ دَاوُد - عليه السلام - في بَيْتِ المَقْدِس بناءً عَظِيمًا مِنْ حِجارَةٍ صَلْدَةٍ لا تُؤَثِّرُ فِيها المَعاوِلُ، طُولُ الحَجَرِ خَمْسُونَ ذِراعًا، وعَرْضُه ثَلاثَة عَشَرَ ذِراعًا، وكُلَّما قَامَ بناؤُهُ صَغُرَتْ حِجارَتُه، ويُرى له ثَلاثَةُ أسْوَارٍ؛ لأنَّهُ في السَّحاب أيَّامَ الشِّتَاءِ كُلِّها لا يَظْهَرُ لارْتِفاع مَوْضِعِه وارْتِفَاعُهُ في نَفْسِه، لَهُ بَابٌ صَغِيرٌ، ومَدْرَجَةٌ عَرِيضَةٌ، وفِيه الدُّورُ والمَساكِنُ، وفي أعْلاهُ المَسْجِدُ، وفِيه كُوَّةٌ شَرْقِيَّةٌ إلى المَسْجِد الأقْصَى في قَدْرِ البابِ... ولَيْسَ لأحَدٍ في هَدْمِه حِيلَةٌ"([١٠٥]).

- **مقارنة بين حال أهل القدس وأهل الأندلس وموقفهم من الثورات**:

خلال الجولة الأثرية لابن العربى، في ربوع القدس، تثير انتباهه بعض المواقف التى تفرض عليه المقارنة بين أهل بلده الأندلسيين وأهل القدس، وموقفهم من الثورات والاضطرابات التي تحدث بين الحين والآخر، فيصف مشهدًا لثائر على واليه، ويُقارن بين حال أهل القدس وموقفهم من الثورة، وحال أهل الأندلس وموقفهم من هذه الفِتْنَة لو حدثت في بلادهم، فيقول: "ورَأيْت فِيه - أي: محراب داود عليْه السَّلام- غَرِيبةَ الدَّهْرِ، وذَلك أنَّ ثائرًا ثارَ به على واليهِ، وامْتَنَعَ فِيه بالقُوتِ، فحَاصَرَهُ، وحَاوَلَ قِتَالَهُ بالنُّشَّاب مُدَّةً، والبَلَدُ على صِغَره مُسْتَمِرٌّ على حَاله، ما أُغْلِقَتْ لهَذِه الفِتْنَةِ سُوق، ولا سَارَ إلَيْها مِن العَامَّةِ بَشَرٌ، ولا بَرَزَ للحَال مِن المَسْجِدِ الأقْصَى مُعْتَكِف، ولا انْقَطَعَتْ مُناظَرَةٌ، ولا بَطَلَ التَّدْرِيسُ، وإنما كَانَت العَسْكَرِيَّةُ قَد تَفَرَّقَتْ فِرْقَتَيْن يَقْتَتِلُونَ، ولَيْسَ عِنْدَ سائرِ النَّاسِ لِذَلك حَرَكَةٌ، ولو كَانَ بَعْضُ هذا في بِلادِنا لاضْطَرَمَتْ نارُ

([١٠٤]) ابن العربي: أحكام القرآن، ٢/ ٤-٥.

([١٠٥]) المصدر السابق، ٤/ ٦.

الحَرْب فِي البَعِيدِ والقَرِيب، ولانْقَطَعَت المَعَايِشُ، وغُلِّقَت الدَّكَاكِينُ، وبَطَلَ التَّعامُلُ لكَثْرةِ فُضولِنا وقِلَّةِ فُضولِهمْ"([١٠٦]).

- **وصفه لنساء نابلس**: تجوَّل ابن العربي في ربوع القدس وشرق الأردن، فزار أكثرَ من ألفِ قريةٍ ومدينة، منها **مدينة نابلس**، ووصف نساءَها قائلا: "ولقد دخلْت نيِّفًا على ألفِ قَرْيَةٍ من بَرِيَّةٍ، فمَا رَأيْت نِسَاءً أصْوَنَ عِيالاً، ولا أعَفَّ نِساءً من نسَاءِ نابُلسَ... فإنِي أقَمْت فِيها أشْهُرًا، فمَا رَأيْت امْرَأةً فِي طَرِيقٍ نَهارًا، إلاَّ يَوْمَ الجُمُعةِ، فإنهُنَّ يَخرُجْنَ إلَيْها حتَّى يَمْتَلِئَ المَسْجدُ مِنهُنَّ، فإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ، وانقَلَبْنَ إلى مَنَازلهنَّ، لم تَقَعْ عيْنِي على وَاحِدَةٍ مِنهُم إلى الجُمُعَةِ الأُخرَى، وسائرُ القُرى تَرَى نِساؤها مُتَبرِّجاتٍ بزِينةٍ وعُطْلةٍ([١٠٧])، مُتَفرِّقاتٍ فِي كُلِّ فِتْنَةٍ وعُضْلَةٍ([١٠٨])، وقدْ رَأيْت بالمَسْجدِ الأقْصَى عَفائفَ ما خَرَجْنَ مِنْ مُعْتَكَفِهِنَّ حَتَّى استَشْهدْنَ فِيه"([١٠٩]).

* * *

كلمة ختامية:

لقد انشغل القاضي أبو بكر بن العربي في القدس بطلب العلم والمعرفة، والنهل من العطاء الحضاري المتميز لهذه المدينة المقدسة، واضعًا نصب عينيه تدوين مشاهداته وانطباعاته وملاحظاته بدقة متناهية، فلم يترك شيئًا مما حدث له أو رآه إلا وسجله بعناية، مما أعطى مشاهداته وانطباعاته قيمة تاريخية وحضارية مهمة، فأصبحت رحلته إلى القدس سجلا حافلا بالعديد من المعطيات العلمية والثقافية والأثرية في آن واحد، تكشف لنا بوضوح عن التطور العلمي والثقافي لتلكم المدينة التاريخية التليدة، وتمكن المشتغلين بالآثار من الوقوف على التطور الأثري للعديد من المنشآت في القدس، وما أُدخل عليها من تعديلات وترميمات، كما تكشف لنا عما ازدانت به المدينة من أساطين العلم وجهابذته، خلال هذه الفترة من تاريخ القدس، في العصر الوسيط.

ومن الجدير بالملاحظة أن رحلة ابن العربي تعد رواية شاهد عيان للأحداث التي جاءت فيها، وشهادة العيان هي قمة ما يصبو إليه المؤرخ لتسجيل الروايات التاريخية، وقد دون خلال هذه الرحلة الكثير من المعلومات التي تعد وثائق من الدرجة الأولى، لما تميزت به هذا الرحالة من دقة الملاحظة، وصريح العبارة، وسلاسة

([١٠٦]) السابق، ٤/ ٧.

([١٠٧]) عطلة: عارية من الزينة.

([١٠٨]) عضلة: شجرة تشبه الدفلي.

([١٠٩]) ابن العربي: أحكام القرآن، ٣/ ٥٦٩.

الأسلوب، فكما كان فقيهًا ومفسرًا، كان أيضًا أديبًا يمتلك ناصية البيان واللغة، إذ إنه اعتمد أسلوبًا مرنًا أثبت فيه تمكنه من آليات الرصد والتوصيف، فلم يدع تفصيلاً بسيطًا يغيب عنه، ولم يغفل شيئًا مما وقعت عليه عينه، فكانت رحلته من المصادر الأساسية لتاريخ كل مدينة أو قرية مر بها، كما تعد مصدرًا مهمًا للباحثين في مجالات التاريخ والاجتماع، والحضارة الإسلامية، خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصـــادر:

*- ابن الأبّار (أبو بكر محمد بن عبد الله، ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م):

- المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي-سلسلة المكتبة الأندلسية (٧)-دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (الهيئة المصرية العامة للكتاب حاليًا)-القاهرة-١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.

*- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م):

- الصلـــة- الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - سلسلة المكتبة الأندلسية (٤)، ١٩٦٦ م.

*- ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف الأتابكي، ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - المؤسسة المصرية للترجمة والنشر- القاهرة - (د. ت).

*- ابن حزم الظاهري (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م):

- الفصل في الملل والأهواء والنحل - دار المعرفة- بيروت - ط ٢، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

*- الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م):

- معجم البلدان -دار إحياء التراث العربي -بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

*- ابن خَلْدُون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م):

- المقدمة- تحقيق وتعليق: د. على عبد الواحد وافى - مكتبة الأسرة - القاهرة - ٢٠٠٦ م.

*- ابن خَلّكَان (أبو العباس أحمد بن محمد، ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م):

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق: د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٨ م.

*- ابن خيـــر الإشبيلي (أبو بكر محمد بن خـــير بن عمر بن خليفة الأمـــوي، ت ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩ م):

- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف - وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها على أصل محفوظ في خزانة الإسكوريال الشيخ/ فرانشسكة قدارة زيدين، وتلميذه/ خليان ربارة طرّاغوه - سلسلة ذخائر التراث العربي - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط٢ منقحة ومنقطة، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*- الضبي (أحمد بن يحي، ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م):

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس - دار الكاتب العربي (الهيئة المصرية العامة للكتاب حاليًا) - القاهرة - سلسلة المكتبة الأندلسية(٦) - ١٩٦٧ م.

*- ابن العربي(أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي،ت٥٤٣هـ/١١٤٩م):

- قانون التأويل- تحقيق: محمد السليماني- منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت- ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

- أحكام القرآن - تحقيق: محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت- ط٣، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

- العواصم من القواصم - تحقيق: د. عمار الطالبي - مكتبة دار التراث - القاهرة - د.ت.

- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٩٩٥ م.

- شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان - تحقيق: د. محمد يعلى - ضمن كتاب: ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي (كتاب الأنساب لابن عبد الحليم ق ٨ هـ/ ١٤ م - كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول - كتاب شواهد الجلة لابن العربي ٥٤٣ هـ/ ١١٤٩ م)- سلسلة المصادر الأندلسية (٢٠)- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد- ١٩٩٦ م.

*- مجيرالدين الحنبلي(أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي،ت٩٢٧هـ/١٥٢١م):

- الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل - منشورات المطبعة الحيدرية - النجف، ١٩٦٨ م.

*- المَقَّرى (أبو العباس أحمد بن محمد، ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣٢ م):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب- تحقيق: د. إحسان عباس- دار صادر - بيروت- ط ١، ١٩٦٨ م.

*- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ت٧١١هـ/ ١٣١١م):

- لسان العرب - دار صادر - بيروت - ١٩٥٥ م.

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة:

*- د. أحمد رمضان أحمد:

- الرحلة والرحالة المسلمون - دار البيان العربي- جدة، د. ت

*- أغناطيوس كراتشكوفسكي:

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي - ترجمة: د. صلاح الدين هاشم- لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ١٩٦٣ م.

*- حسني محمود حسين:

- أدب الرحلة عند العرب - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - ط٢ مزيدة ومنقحة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

*- د. حسين مؤنس:

- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس - منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- مدريد، ١٩٨٦ م.

*- حسين محمد فهيم:

- أدب الرحلات- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ١٩٨٩م.

*- زكي محمد حسن:

- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى-دار الرائد العربي- بيروت، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

*- سعيد أعراب:

- مع القاضي أبي بكر بن العربي - دار الغرب الإسلامي - بيروت- ط١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

*- عبد الجليل حسن عبد المهدي:

- الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي - مكتبة الأقصى- ١٩٨٠ م.

*- كامل جميل العسلي:

- معاهد العلم في بيت المقدس - جمعية المطابع التعاونية- عمّان، ١٩٨١م.

ثالثاً: الدوريات:

*- د. إحسان عباس:

- "رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل" - مجلة الأبحاث (ج ٢-٣)- بيروت، ١٩٦٨ م.

*- محمد أحمد العقيلي:

- "قبيلة بني شعبة" - مجلة العرب (ج ١١-١٢)- دار اليمامة - الرياض، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com